الشعر المنثور

Les Vers blancs.

ويسمى الشعر الحر او المطلق ايضا ، وهذا النوع من الشعر لايشترط فيه ان يأتي من وزن واحد وقافية واحدة، بل ان يأتي من مختلف الاوزان ، أما الذي يشترط فيه فهو صوغ الجمل من الالفاظ تلك الالفاظ التي يأتلف بعضها الى بعض في الاوزان الشعرية، حتى تكون الجملة منسجمة فتبرز الحقائق مصورة في قوالب شعرية، وبعبارة اخرى لايكتفى بجمال النغمات الشعرية فقط بل بكمال جماله وروعة حسنه بوجود الفلسفة العالية وحقائق الحياة فيه فيثير العواطف الشريفة من رقادها لتتناول الفضيلة بأسهل متناول فهو لايقل تأثيرا عن قسيمه الشعر المنظوم . ويجب ان تراعى فيه فواصل الجمل ـ صغرت تلك الجمل او كبرت اي ان تكون الجملة مستقلة في رسم الخط . ويستحسن فيه ربط الجمل بان يؤتى بعد كل جملة او جملتين او ثلاث ـ حسبما يطلبه المقام ـ بجملة صغيرة متكررة لتجلب الاذهان فتكون بمثابة البيت الاخير في بعض الموشحات .

هل الشرقيون اسبق من الغربيين فيه

لو رجعنا الى تاريخه لوجدناه منتشرا بين الامم الشرقية قبل ان يتفشى بين الامم الغربية نخص بالذكر منهم العبرانيين فان ادبهم قد امتلأ منه حتى انه من كثرة تعاطيهم اياه اتتنا كتب الدين متضمنة شطرا كبيرا منه ، ولو حفظ لنا تاريخ الادب السيري كما كان مفصلا لرأينا الشعر المنثور قد ملأ اسفارا ضخمة ولم تذهب اشعار بقية شعرائهم كاضراب داود وآساف وسليمان وارميا فان الذي وصلنا من هذا الشعر المنثور اتصل الينا بواسطة كتب الدين كسفر المزامير وسفر الجامعة وسفر نشيد الانشاد وسفر اشعيا وسفر ارميا وسفر مراثيه وغيرها من اسفار التوراة فالذي يقرأها يحكم بما له ـ على رغم تشويش الترجمة التي لم تفرغ في قوالب كما يرام ـ انها شعر منثور ويعترف بالروح الشعري الطافح المترقرق في دياجيها ، وانا لو حذفنا من سفر نشيد

كالانشاد او سفر الجامعة بعض الجمل وابدلنا ببعض الكلمات كلمات توافق روح عصرنا هذا ووقعناها باسم احد ادبائنا ما استبعد ان يقال انها لهذا الاديب صاحب التوقيع .

ومن يرى اسلوب سفر نشيد الانشاد وتوقيع نغماته يحكم بلا تردد ان ما يأتيه ادباء عصرنا (كجبران) و (مفرج) و (مي) وغيرهم منسوج على منواله ومفرغ في قوالبه ومضروب على غراره .

ورد في قاموس الكتاب المقدس في مادة شعر: « ولا تعتبر القوافي في الاشعار العبرانية ولم تنقسم الى اوزان كالشعر العربي (المنظوم) ومع انها قد نظمت احيانا على الحروف الابجدية لم يكن في شطري ابياتها عدد مرتب من التهجئات وانما نظمت على مقابلة الافكار » الخ .

الاوربيون اقتبسوه من الشرقيين

لما تمكنت النصرانية في القرون الوسطى من اوربة وخمد صوت الفلسفة اليونانية وارتفع صوت الديانة النصرانية اوحلت بالطبع هذه الطريقة الشعرية الاسرائيلية في كلام الدين بل جعلت جزءا من الدين. اذ لا تتم الطقوس النصرانية على وجهها المناسب ما لم ترتل هذه الاشعار كمزامير داود في المجامع والهياكل.

ولا يعقل ان هناك متعصرا ما لم يتل هذه الاسفار. فتذوق الاوربيون هذا الشعر المنثور العبري من هذه الاسفار بلذاذة فنشأ روح الشعر المنثور في بلاد الغرب .

ولما اتت القرون الحديثة باصلاحها وجد الروح الشعري الشرقي ماوى اطنابه في الادب الاوربي ، فتحور وتهذب عندهم من باب الضرورة وتصرف اولئك الناس فيه لشؤون شتى في الحياة الاجتماعية والادبية ترى ذلك ظاهرا في اسلوب شعرائهم وهاك مثلا كتاب (بلاغة العرب) الذي يضم بين دفتيه طائفة من اثار شعرائهم (كفيكتور هوغو) و (لا مارتين) و (بيير كورني) وغيرهم وما تنشره المجلات العربية لشعرائهم .

وجوده عند العرب

وقد وجد عند العرب وتراه في مجاميع الادب داخلا في زمرة الكلام المنثور

كثير بعض عرب الجاهلية وفي القرآن الكريم كثير منه فهاك مثلا (سورة الدهر) و(سورة المرسلات) واقرأهما تر انه ينطبق عليهما كل الانطباق واغلب الايات القرآنية اعتبرها العرب شعرا بدليل ماحكاه القرآن عنهم من قولهم في النبي – صلعم – والقرآن « انه قول شاعر » مع انهم يرونه غير موحد في الوزن ولا مقفى ومع ذلك اعتبروه شعرا فترى انه وان كان غير منظوم فانهم اعتبروه شعرا فهو اذن شعر منثور .

وقد ورد منه شيء كثير عند المولدين كنثر ابي الطيب المتنبي في اوائل ادعائه بالنبوة ونثر المعري في « الايك والغصون » و « ملقى السبيل » وغيره حتى لو تطرقنا في البحث لوجدنا « الجل » والنثر قبل « العقد » الذي هو نوع من فنون البديع وهو شعر منثور .

وفي القرن الرابع عشر للميلاد اي وقت جمود الادب العربي وجد شيء منه مثل « بند » ابن الخلفة وقد عارض تلك القصيدة النثرية ادباء عصره .

النثر المنثور عندنا في العصر الحاضر

لقد تركه الشرقيون فالاسرائيليون غادروه وغادروا عالم الادب كله لينصرفوا الى عالم التجارة والكسب وذلك بعد موت الروح القومي منهم فضل كل فرد منهم ولم يبق فيه شيء يهمه سوى امر شخصه وشأن حياته القائم بها .

واما العرب فلم يكثروا منه ولم يستخدموه في عالم الادب الا لكونه نثرا فاكتفوا عنه بقسيمه الشعر المنظوم فكان ذلك منهم اغفالا مع وجود نماذج عالية عندهم واعتراف المتقدمين به كما سبق بيانه .

ولما سرى روح الاصلاح والنهوض في الامة العربية في العصر الحديث وادخلت المدنية والعلوم والآداب المصرية الغربية فيها دخل معها في جملة ما دخلها من انواع الاداب .

واول من تعاطاه الريحاني فانهال ادباء مصر على اتخاذه وهكذا ردت بضاعتنا الينا .

الشطرة

رشيد الشمرباف